فاعلية المكان في ديوان (يا أبي أيها الماء) للشاعر: أجود مجبل

م.م. محمد جواد كاظم محمد

المديرية العامة للتربية / كربلاء المقدسة

Mohqmedjawd1980@gmail.com

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى بيان فاعلية المكان في النص الشعري إذ أنه شكل ثيمة واضحة لدى الشاعر أجود مجبل أراد عبرها الكشف عن مواطن الخلل الموجودة في مجتمعنا، فنراه ينتقل بالقارئ إلى الارث الحضاري المجيد ويستلهم الدروس والعبر للنهوض بالواقع المتردي .

الكلمات المفتاحية : شعر ، مكان ، أليف ، معادي ، ثيمة ، صورة شعرية ، عاطفة

Abstract :

This research aims to demonstrate the effectiveness of place in the poetic text, as it was a clear theme for the poet Ajwad Majbal, through which he wanted to reveal the defects that exist in our society. We see it transporting the reader to the glorious cultural heritage and drawing inspiration from lessons and lessons to improve the deteriorating reality.

key words :Poetry, place, familiar, hostile, theme, poetic image, emotion

التمهيد

المكان في الأدب والشعر

المكان هو حيز من الوجود ، وكل ما موجود حولنا يتبع لخصيصة المكان الا الخالق سبحانه وتعالى فهو لا يخضع لسلطة المكان ، والمكان لغةً هو " الموضع ، والجمع أمكنة كَقَذَالٍ وأَقْذِلَةٍ، وأَمَاكِنٌ جمعُ الجمع "[1]. وقد شغلت مسألة المكان دوراً بارزاً في الحياة الانسانية قديماً وحديثاً ، فالاحساس بالمكان لدى الانسان البدائي يرتبط بالنظرة الحسية لديه فالمكان يمثل الكهف او المغارة باعتبارها أماكن محسوسة في البنية الذهنية للتصور والتي ترتبط بخصوصية عاطفية تشعره بالاطمئنان والالفة .[2]

١) معجم لسان العرب ، ابن منظور ، المجلد ٦ ، الجزء ٤٧ :٤٢٥٠ .

٢) ينظر: ما قبل الفلسفة، فرانكفورت وجماعته، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، دار مكتبة الحياة، مؤسسة فرانكلين للنشر، ١٩٦٠م: ٣٤

إن اللغة وسيلة الشاعر لايصال فكره وتجاربه واحساساته وبذلك فان المكان في الشعر يتشكل عن طريق اللغة التي تملك بدورها طبيعة مزدوجة اذ لها بعد فيزيقي يربط بين الالفاظ واصولها المحسوسة (٣) ، وقد تعرض الشعراء للمكان كونه يمثل البؤرة التي تحتضن مشاعر الانسان واحاسيسه وذكرياته واحلامه ومصدر الهام يشع في أعماق المبدع فيلهمه ما يجسد تجربته ويبث مشاعره عبر قنوات النفس فيخرجها ممزوجة بنفحات آماله وآلامه وينقلها الى المتلقي مفعمة بفيض وجدانه مرتكزاً في ذلك على صدق تجربته وعمق رؤيته .

إنّ المكان في الادب يمثل البعد المادي للواقع الذي تجري فيه الاحداث(٤) ، إنّ للمكان ارتباط بتاريخ قاطنيه فهو امتداد للشخصية والشخصية امتداد له وقد ركز الادباء والشعراء على هذه الخصيصة كونها تمثل علاقة الفرد بتاريخه وواقعه الذي يعيش فيه ومدى هذا التاثير في نتاج الأديب الفني والابداعي .

إنّ الشاعر العربي الجاهلي ارتبط بالمكان ارتباطاً وثيقاً ؛ إذ اكد عليه في اشعاره فبين مشاعره وخلجات نفسه التي ترتبط بالمكان فذكر المكان الذي ولد وتربى فيه ويشيد بجماله ورونقه فيرسمه لنا كما يراه هو وليس كما يراه الاخرون فأحاسيس الشا عر وعاطفته تكون متوهجة أكثر من غير وخاصةً عندما يمر بأماكن الطفولة والصبا في الماضي .

احتلت المقدمة الطللية في الشعر العربي اهمية بالغة فكان لها حضوراً فاعلاً فقد بث الشاعر عبرها كل احساساته ومشاعره من حب وحنين وسعادة وأصبحت ملازمة للقصيدة الجاهلية(٥) . وبعد ذلك احتل المكان مرتبة سامية في شعر الحنين والغربة وقد وظفه الشاعر في التعبير عن عمق الحس المكاني النابض في وجدانه بعد معاناة النفي والاقتلاع وتجرع ويلات الغربة وأهوالها فالانقطاع عن الوطن يجعل الشاعر في رحاب وطن داخلي يرسمه لنفسه عن طريق الخيال للتعو يض عن الوطن المُفتقد (٦) .

أمّا المكان في النتاج الادبي الحديث حقق حضوراً فاعلاً في نسيج الصور الفنية الأدبية وفي الشعر الحديث خاصة ؛ إذ لم يقتصر عمل المكان في الصورة الشعرية الحية على كونه إطاراً خارجياً للاحداث او بعداً جغرافيا للشخوص بل شَكّلَ بؤرة رئيسية في تلك الصور تنبثق من رحمها الاحداث وتدور في محورها دلالات الصور وتنبض في أعماقها المعاني الرفيعة مما جعل المكان في كثير من النصوص الشعرية الهدف الرئيس الذي يوجه الشاعر من خلاله غرضه ومقصده . إنّ بروز المكان في الشعر والنقد حديثا وتنوع توظيفه في النصوص الشعرية يُعد وعياً جديداً لفكرة المكان بوصفه عنصراً من

---

٣) ينظر : جماليات المكان اعتدال عثمان – مجلة اقلام عدد٢ بغداد – ١٩٨٦ :٧٦ .

٤) اشكالية المكان في النص الادبي – ياسين النصير : ١٥٥ .

٥) ينظر : في الشعرية ، كمال ابو ديب : ٥٩ .

٦) ينظر : جماليات المكان اعتدال عثمان – مجلة اقلام عدد٢ بغداد – ١٩٨٦: ٧٧ .

عناصر التجربة ، إذْ لم يعد اطارا تدور فيه احداث القصيدة بل اصبح أيضاً محوراً لرؤية الشاعر وعلاقته بواقعه وكشف تناقضاته ورسم آفاق مكانية جديدة وصارأداة إنتاج تصويري معبر ومؤثر في آنٍ واحد ، وتتحدد العلاقة بين القصيدة الحديثة والواقع عبر جمالية الشكل المكاني لهما فالجدل الذي ينشأ في الواقع ينسحب بالضرورة على الشعر بوصفه بنية فنية تعكس ما يعتمل في الواقع من صراعات باتجاه تغييره وبذلك تصبح علاقة الشاعر بالمكان علاقة انتماء وفعل خلاق(٧) .

انماز المكان في الشعر العربي الحديث عن الشعر العربي القديم بسبب اطلاع الادباء والشعراء على النتاجات الغربية الحديثة التي عالجت ثيمة المكان باشكال رمزية متعددة بعيدة الرؤية ، فاخذت رموز المكان في بعض الاحيان تأخذُ بعداً مغايراً عما ساد عند المجتمع القديم فمثلا بات يعرف البحر بأنه مكاناً معادياً للشاعر وفي السابق كان يمثل رمز الجود والكرم والسعة والدار أيضاً وكانت الغابة والجبل مكان يشعر فيه الشاعر العربي قديماً بالراحة والإطمئنان فاصبح في بعض الاحيان مكان معادي لدى بعض الشعراء وا لمدينة أيضاً أخذت تختلف من ناحية ايحائها بالشعور فاخذت عند البعض مكاناً معادياً موحشاً قاسياً يعج بالظلم والقتل كما هو الحال عند الشاعر أجود مجبل (٨) .

المكان الموضوعي

يُعد المكان في كثيرٍ من الأحيان المحرك الأساسي الفاعل في عواطف الانسان ومشاعره فهو يمثل مكان طفولته وشبابه وهرمه حتى مماته وظل يشغل حيزاً كبيراً من نتاجات الشعراء فهو المكان الذي يبني "تكويناته من الحياة الاجتماعية ونستطيع أن نؤشر عليه بما يماثله اجتماعياً وواقعيا" (٩) ويمثل "البعد المادي للواقع"(١٠) لانه "يستخرج من الاشياء المادية الملموسة " (١١) . ومن الممكن أن نعده مرجعية مادية لمجمل التنويعات التي تحدثها مخيلة الشاعر الادبية في

---

٧) يمظر : اشكاليات المكان في النص الادبي ، ياسين النصير : ٣٩٣ .

٨) هو شاعر عراقي ولد في محافظة ذي قار في (سوق الشيوخ) جنوب العراق عام ١٩٤٥ م . وهو عضو الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق وعضو اتحاد الكتاب العرب ، دواوينه(رحلة الولد السومري) (محتشد بالوطن القليل) (يا ابي يا ايها الماء) . ينظر : معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢ ، كامل سلمان الجبوري ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، المجلد الاول ، ط ١ ، ٢٠٠٣ :٧٢

٩) الرواية والمكان (دراسة في الرواية العراقية)، ياسين النصير: ٢٧

١٠) إشكالية المكان في النصّ الأدبي : ٥٥

١١) جماليات المكان، اعتدال عثمان، مجلة الأقلام، العدد٢، بغداد، ١٩٨٦م، ٧٦ .

بنية المكان(١٢) فهو بذلك يمثل المكان المعيش الذي تنعكس صوره ومظاهره الواقعية على مخيلة المبدع وتمتزج برؤاه فيخلق لنا مكاناً موشحاً بأحاسيسه ومصطبغاً بعواطفه ومشاعره لانه البؤرة القابلة للتناسل الصوري واعادة الاكتشاف عبر المنظور الشعري او السردي ليكتسي بملامح الرمز ولا يكون المكان مؤثراً دون أن يضفي عليه المُنشئ مشاعره وعواطفه وأحاسيسه لكي يكون مؤثراً في المتلقي ، وصورة المكان ينبغي أن لا تمثل المكان المعيش وكل ما ترتبط به الصورة من المفردات الحسية وانما يحاول الشاعر ان يفتت الاشياء الواقعة في المكان لكي يفقدها كل تماسكها البنائي الماثل أمامنا ولا يبقي منها إلّا على صفاتها (١٣) .

إنّ نقل المكان الموضوعي الى النص كما هو نقلا يتوخى دقة الابعاد الهندسية المجردة من الابعاد النفسية تصبح القصيدة صورة جامدة ليس فيها حركة وحياة وقد كان للمكان خصوصية مميزة لدى الشاعر أجود مجبل اذ سمى ديوانه (يا ابي ايها الماء) وهذا الماء لا يمثل البعد الظاهر له وإنّما يمثل أبعاداً دلالية عميقة وبعيدة الغور ؛ لانه عاش حقب سياسية متعددة الاشتراكية التي جاءت بعد الملكية ومن ثم القومية واثارها السلبية والنظام البعثي الظالم ومن ثم التدهور السياسي والاجتماعي الذي أعقب سقوط الطاغية في ٢٠٠٣ ، ثم التخبط السياسي وفقدان السيادة الوطنية وانتشار الفساد المالي والاداري في العراق ، وكل ذلك نجد صداه بارزاً في معظم شعره .

المبحث الاول

المكان الأليف

المكان الاليف هو المكان الذي يجد الانسان الراحة فيه ، ويشعر فيه بالدفء والحماية من العالم الخارجي المعادي فيبعث فيه نفسه الطمأنينة ١٤ ، جاء في معجم لسان العرب " ألف الشيء بعضه بعضاً وألفه ضمه بعضه الى بعض وتآلف تنظم والإلف والأليف . يقال حنت الإلف الى الإلف وجمع أليف ألائف ". (١٥) وهو بمعنى ألف المكان تعوده واستانس به . إنّ المكان الاليف هو الذي يحمل صفات الحماية والامان ، وهو كل مكان يثير الاحساس بالالفة " وكل مكان عشنا فيه وشعرنا نحوه بالدفء والحماية بحيث يشكل هذا المكان مادة لذكرياتنا " (١٦) ، والنفس الانسانية تجد فيه السكينة والاستقرار وتجد بين دفتيه مبررات إلفتها وانتمائها "لان لكل كائن حي اقليمه الذي يمثل

---

١٢) ينظر: إنتاج المكان بين الرؤيا والبنية والدلالة، د. محمد الأسدي : ٣١ .

١٣) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية المعنوية : ١٢٩.

١٤) ينظر : الفضاء الروائي في أدب جبرا ابراهيم جبرا : ٢٨١ .

١٥) لسان العرب ، ابن منظور (باب ألف) مجلد ١ ، جزء ٢ : ١٠٨ .

١٦) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ : ١١٥

مركز اشعاع بالنسبة اليه ويتعارض مع العالم الخارجي الشاسع" (١٧) فمن الطبيعي ان يثير المكان الاليف المشاعر لدى الأديب . وقد تناول الشاعر اجود مجبل المكان الاليف في قصائده فكانت تنضح بالحنين والحب لذلك المكان الذي يعد ملاذا للشاعر .

أ - الدار

الدار هي المكان الذي يأوي الانسان واسرته منذ ان يفتح عينيه على هذه الدنيا وهي المسكن الذي تسكن إليه الروح ويسكن فيه الجسد ، إنها " اكثر من منظر طبيعي اذ هو حالة نفسية" (١٨) وهو ليس مساحة مادية فحسب بل هو حالة احتضان روحي جسدي فضلاً عن كونه يمثل سجلاً يضم مشاعر الانسان وحياته (١٩) ، وقد ذكر القران الكريم هذا الجانب من العاطفة المرتبطة بالبيت والامان والطمانينة في قوله تعالى ((فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)) (٢٠) .

إنّ الدار لدى أجود مجبل تمثل الوطن لأنّها موضع الطمأنينة لديه، والعراق لديه هو البيت والدار فكل ما تبعثه الدار من حنان وحب يجده في الدار الكبيرة التي تتمثل بالوطن ، وقد ارتبطت ذكريات تلك الدار بمرحلة الصبا والشباب وهي أجمل مراحل الانسان العمرية، فيقول في قصيدة (العودة الى جورنيكا) (٢١) :

حفظنا خطاك ازرار عيد

واجترحنا الهواء اندلسا اخرى

ستاوي لها إذا ارتبك القلب

كطفل يغادر البيت كهلا

اورثته قريش نخلة وجدِ

الشاعر يتحدث هنا عن الحنين والشوق للبيت الذي يسكنه الفرد وقد غادره غصباً لان السلطة عملت على تهجيرهم عنوةً منه فسحقت البيوت في مدينة (جورنيكا) التي أوردها الشاعر في عنوان قصيدته وقد أصبحت معادلاً موضوعياً

---

١٧) البناء الفنيّ في الرواية العربية في العراق، جزء ٢ : ٩٩ .

١٨) جماليات المكان: غاستون باشلار : ٤٢

١٩) ينظر: دلالة المكان في قصص الأطفال، ياسين النصير،ص ٢٧ .

٢٠) سورة قريش اية (٣-٤) .

٢١) جورنيكا مدينة صغيرة في شمال اسبانيا تعرضت عام ١٩٣٧ لقصف مستمر بالطائرات في الحرب الاهلية الاسبانية وسويت بالارض وقتل فيها خمسون الف شخص ، ديوان اجود مجبل: ٧

(٢٢) لمدينة الشاعر ، إنّ الشاعر لا يتكلم عن المكان بعينه وإنما يريد ان تلك الأحداث حصلت في العراق بعد مجيء النظام البعثي في نهاية السبعينات وان الحروب التي خاضها العراق سواء مع جيرانه او في الداخل سحقت البيوت وهجّرتْ وأزهقتْ أرواح العديد من الابرياء، وكونه قد عاصر تلك الاحداث فقد استعمل مدينة جورنيكا قناعا للتعبير عن الاحداث التي مر بها العراق، وقد جعل هذه القصيدة في مقدمة ديوانه، وفي ذلك دلالة واضحة على البعد السياسي لشعر أجود مجبل الذي أراد ان يكون شعره سجلاً حافلاً لاحداث السياسة في العراق التي مارست ضغوطات شديدة على المجتمع الذي ظل اسيراً لمدة طويلة ، ويذكر كذلك ايضا في قصيدة (قمر القبائل)(٢٣) فيقول:

هم المتكررون

على المماحي

مضوا

يتوارثون بها حطاما

بنوا في اللامكان لهم

بيوتا

ومدوا في الهباء لهم

خياما

إنّ الشاعر يرى في البيت ملاذاً ومأمناً فالانسان بلا بيت يكون مشرداً ولا يكون فرداً سَوياً بل نجده هائماً تائهاً بين الاماكن، فالبيت هو المستقر الذي يقر عين الانسان فإنْ فقد هذا المستقر يصبح لذ لك أثراً في نفسيته وتصرفاته مع المجتمع الذي يعيش فيه، والبيت لدى الشاعر يختلف عن الخيمة؛ لان البيت يمثل قوةً واستقراراً في الارض بينما نجد الخيمة متخلخلة الاركان تهدمها العواصف بسهولة ولذلك يعبر الشاعر عن بعض افراد المجتمع الذين غدت منازلهم كالخيمة التي تمتاز بعدم الاثبات والاستقرار وفي كل ذلك نجد الشاعر يلمح الى الفرد العراقي الذي يعيش واقعه المزري نتيجة الحروب وقهر السلطة فيمثله بانه قد مد في الهباء خيمة لكي يسكن اليها فهي لا تغنيه ولا تحميه لانها سرعان ما تتحطم وتذهب هباءَ .

---

٢٢) المعادل الموضوعي : وهو مصطلح نقدي ابتكرهالانكليزي ت.س إليوت عام ١٩١٩ م إذ يرى (أن الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في صورة الفن إنما تكون بإيجاد معادل موضوعي أو بعبارة اخرى مجموعة من الموضوعات والمواقف وسلسلة أحداث تكون صيغة ذلك الانفعال بشكل خاص بحيث اذا ذكرت الحقائق الخارجية التي لابد أن تنتهي إلى تجربة حسية مثل الانفعال في الحال بالذهن) ينظر :معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ،مكتبة لبنان ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤ :٣٧٠ ، وينظر أيضاً : آفاق في الادب والنقد ، د.عناد غزوان ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد –العراق، ط١ ، ١٩٩٠ : ٢٣ .

٢٣) ديوان يا ابي ايها الماء : ٢٩

ب- الطبيعة

(الحقل ، النهر)

تُعد الطبيعة – بكلِّ ما تحويه من الأسرار الكونية – منهلاً عذباً استقت منه قرائح الشعراء عبر العصور الأدبية فهي في كلّ زمانٍ ومكان تأسر الأنسانَ ومشاعرَه، وتستثيرُ أحاسيسه وعواطفه، ولمّا كان الفنانُ إنساناً له كيانٌ خاصّ، وهذه الخصوصية متأتّية من قدرته على تحويل ما موجود في الطبيعة الى أدوات معبرة عما يجيش في داخله من أحاسيس ومشاعر، فهو أقدر على الإحاطة بالطبيعة إحاطةً جزئيةً أو شمولية ، والشاعر بلا طبيعة مَثَلُهُ مثلُ من يفتقد الضوء فيتلمس من دونِ أن يرى فالطبيعة جذوة تُشعل الروح الشاعرة، وتدفع با لينبوعِ الكامن في أعماق النفس إلى التفجّر والتدفُّق والانطلاق، وتُسجّلُ الطبيعة حضوراً فعّالاً ومتميزاً في الشعر العربي قديمه وحديثه، فهو زاخر بصورها، ومتلفّعٌ بألوانها ومباهجها، مع وجود فارق جوهري يميزُ تعامل الشعراء العرب مع الطبيعة قديماً وحديثاً . فالشاعر القديم قد صور ما يحيط به من مناظر الطبيعة والموجودات فيها من حيوانات وزرع ورمال وصحراء وكل ما يمت بالطبيعة من صلة فنراه دقيقا في أوصافه فيصف الربيع وما يكون فيه من تغيرات على الزرع والارض والحيوانات والسماء ، لذا نراه يعتمد على الطابع الوصفي من تشبيه وتمثيل في تصوير هذه الاشياء وهذا يعني أن الطابع الوصفي هو الغالب على شعره، فتنحصر دائرة اهتمامه حينئذ في أنْ ينقل إلى المتلقي صورةً ممّا يراه معتمداً في ذلك على أساليبَ البلاغة من تشبيهٍ وتمثيلٍ، وما إلى ذلك من ضروب الصناعة اللفظية، اكثر من اعتماده على إثارة الشعور، وإيقاظ الروح، والنفاذ إلى ما وراء المشهد المنظور(٢٤)، أمّا الشاعر الحديث فهو يجِدُ في الطبيعةِ ملاذاً آمناً، وموطناً هانئاً، ينعم فيه، بالسعادة، والسكينة والهدوء بعيداً عن صخب الحياة، ومرارة العيش، وشقاء الخلق .

إنّ هذه النشوة والحرية التي يجد ها الشاعر" في أحضان الطبيعة هي طابع الرومانتيكيين جميعاً، وذلك أنَّ مبادئهم حبُّ الخلوةِ واعتزال الناس؛ لأنَّ المجتمعات مباءة، ومثار للمشكلات، وعبء على ذوي النفوس الرقيقة الشعور" (٢٥) .

وإنّ هذا الامر نجده بوضوح في شعر بعض الشعراء المعاصرين فهو يلتجأ الى الطبيعة عندما يُحاصَر من قبل الواقع الجاف الذي يعيشه الانسان في الوقت الحاضر من هذا الزحام في الاجهزة والمكائن والالكترونيات والاتصالات العالمية التي جعلت العالم كقرية صغيرة، فالشاعر اجود مجبل قد استلهم الطبيعة في معظم اشعاره وقصائده فلا تكاد تخلو قصيدة لديه في هذا الديوان - الذي نحن بصدد دراسته - الا وفيه ذكر للطبيعة من (روض وغابات واشجار وانهار وبحر وسماء ومطر ٠٠٠٠ الخ)

---

٢٤)ينظر:ديوان ابن زيدون دراسة وتهذيب- عبد الله سندة - دار المعرفة - بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٥م:٤٣.

٢٥) الرومانتيكية، نشأتها، فلسفتها، قضاياها - د. محمد غنيمي هلال : ١٣١ .

الحـقـــل

وقف الشاعر أجود مجبل على دقائق الحركات والسكنات التي لاحظها على الطبيعة

فالطبيعة لديه هي الام الكبيرة لانها تمثل الملجأ الذي يلتجا اليها ويجد فيها متنفسا لاحساساته وشعوره في خضم صعوبات الحياة وماديتها وصرامتها وقد ذكر الشاعر ذلك في مجموعة من القصائد في ديوانه (يا ابي ايها الماء) منها في قصيدة (إكليل الحكايات)(٢٦) فيقول :

لانك عذب

كالبلاد اذا نات

وكالبرق

عن دمع النيازك يكشف

تؤسس صبحا

بالرموز معبدا

مناجله هيبة القمح

ترجف

هنا الشاعر يذكر الروض والارض التي فيها القمح وهو دليل على الخصوبة والعيش الرغيد لان القمح هو اهم محصول للانسان فهو يوفر الخبز الذي يمثل قوت الشعب ان دلالة القمح وسنابله تمثل اشارة للوضع الاقتصادي المرتبط بالسياسة الحكومية وهي سياسات خاطئة تجاه الشعب وهذا القمح ترجف سنابله من أثر التوجس والخيفة من المستقبل الذي يحيط بمستقبل الشعب ، كما ذكر الحقل أيضا في قصيدة اخرى وهي: (ترنيمة الافق النفيس)(٢٧)

تدري زهور الشعر

انك روضها

وسماء اور عانقتك

وارضها

---

٢٦) ديوان يا ابي ايها الماء : ٢٢

٢٧) ديوان يا ابي ايها : ٤٧ .

حيث القلوب الممرعات

إنّ الشاعر في هذه القصيدة يصف جمال الروض وبهائه ويصفها باجمل الاوصاف فهو يستقصي ما فيها من رونق عبر ذكر الزهور والسماء والارض الممرعة التي اعشوشبت ونمت ويربط الشاعر هذه الطبيعة الخلابة بالشعر ليصف الممدوح وهو يستعير صفة الزهور الى الشعر وان الشعر يمثل زهرة الادب وجماله الخلاق الذي عاش مئات السنين والى الان يمثل زهرة في ارض اللغة العربية ان هذا الوصف الدقيق للشعر واهميته ومكانته لدى لشاعر يدل على عمق رؤيته لهذا الفن العربي ومن ثم يربط ذلك الزهر والروض الذي تكلم عنه بالحضارات القديمة فيذكر مدينة اور الموجودة في العراق ليبرز لديه ربط الحاضر بالماضي وهو واحد فهذه الارض التي عاش عليها الشاعر هي نفسها الارض التي عاش عليها السومريون والبابليون واسسوا حضارة كانت من اقدم الحضارات الانسانية ، ويذكر ايضا في قصيدة اخرى: (تفاقمات بحار)(٢٨) فيقول:

ما كان ميراثنا من نزف وحشتها

الا طغاة

وتاريخا من الوحل

في الحقل زهرة اوركيد

يهددها عصف الظلام

بان لا وقت للحقل

كتاب دمع الصباحات التي سفحت

الشاعر هنا يذكر ان الحياة الرغيدة التي عاشها الناس قديماً قد لا تدوم فتاتي على المجتمع ويلات وحروب وظلمات وهناك منغصات لا يكاد الفرد يتخلص من واحدة الا وتأتي واحدة اخرى مثلها تعمد الى تدمير وافساد كل ما موجود في الحقل من زهور ورياض ويسود الظلام الذي فيه دلالة على القهر والفقر الذي يعيشه المجتمع ويذكر الشاعر في قصيدة (من بريد ابي فرات) [٢٩] يقول :-

يوزع عشب التسميات

بدهشة

على وطن

يسقي زهور ارتيابه على يده

كانت تتوب مدائن وتخشع انهار

بضوء اكتآبه

---

٢٨) ديوان يا ابي ايها الماء : ١٨١ .

٢٩) ديوان يا ابي ايها الماء : ١٠١ .

اصابعه ياحنطة الفقد

بيدر على الريح

يعمد الشاعر هنا أيضاً الى ربط الحقل والروض بالواقع الذي يعيشه الوطن وهو الظلم والقسوة والتعسف فهذا الوطن يسقي ارتيابه وخوفه من الحكام او المتسلطين ، إنّ هذا المجتمع الذي يعيشه الشاعر أصبح كجذع النخل الخاوي قد نخرته آفات الزمن وقسوته ، فتصطبغ قصائده بصبغة حزينة ولوعة فيقول في قصيدة (يا ابي ايها الماء)(٣٠) فيقول:

انه القمر المتوحد

ينزل فوق الحقول القديمة للزنج

حيث الفصول تتم غزارتها

والضليعون بالارض

ينهمرون خفافا على العشب

ان الشاعر يربط هنا بين أرض الزنج او ثورة الزنج (٣١) وبين الطبيعة المتمثلة بالقمر والفصول والارض والعشب وربطها كلها بمسالة الحرية المرتبطة بالشعب الذي طال ظله وقهره على ايدي المتسلطين .

النـهـــر

إنّ الماء مكون أساسي في خلق الكائنات ومنها الانسان وقد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم حيث قال جل جلاله ((وجعلنا من الماء كل شيء حي) (٣٢) ؛ لذا فان لدلالة الماء في شعر اجود مجبل أثراً كبيراً في شعره إذ عبر عن الماء ليدل على خلق الانسان ومرة اخرى دل على الخصب والنماء والسعادة والهناء فهما مرتبطان بشكل مباشر بالماء ومرة اخرى يدل على اشارات سياسية لما يلعبه الماء في تجويع الشعب واغنائه .

إنّ الماء يمثل ترف العيش لان وجوده مرتبط بوجود الانسان فاينما وُجِدَ الماء وُجِدَ الانسان وان الشاعر اجود مجبل قد تنبه الى ذلك كما تنبه اليه الشعراء السابقون له امثال بدر شاكر السياب الذي كان للماء أثراً واضحاً في شعره فقد كانت قصيدته (أنشودة المطر)(٣٣) مثالاً رائعاً لتوظيف الماء في الشعر فيقول :

ومنذ أن كنا صغاراً ، كانت السماء

تغيم في الشتاء

ويهطل المطر

وكل عام – حين يعشب الثرى – نجوع

ما مر عامٌ والعراق ليس فيه جوع

وقد ربط الشاعر اجود مجبل حقيقة حاجة الانسان الى الماء بالتاريخ اذ ان السومريين والبابليين استوطنوا هذه الارض وهي ارض العراق بسبب وجود نهران عظيمان وهما دجلة والفرات واكد الشاعر على اهمية الماء لهذه الحضارات وقد

---

٣٠) ديوان يا ابي ايها الماء : ١٨٩ .

٣١) ثورة الزنج : هي ثورة قام بها الزنج على الدولة العباسية في سنة (٢٥٥ هـ) وامتدت لاكثر من ١٤ سنة وكان مقرها في البصرة في العراق وقد راح ضحيتها الكثير من الناس .

٣٢) الانبياء – اية: ٣٠.

٣٣) ديوان أنشودة المطر ، بدر شاكر السياب ،مؤسسة هنداوي ، القاهرة – مصر ، ٢٠١٢ : ١٢٦ .

ربط ايضا دلالة الماء بالثورة كونه رمزا للتجدد والنماء والخصب منذ اقدم الازمنة والعصور ان عنوان ديوان الشاعر اجود مجبل (يا ابي ايها الماء) يدل دلالة واضحة على اهمية هذا العنصر في شعر الشاعر إذ أولاها اهتماماً كبيراً في شعره ويكاد يشير اليها في معظم قصائده أما بذكره صراحة (النهر والمطر والبحر والجداول) أو ضمنا من خلال ذكر لوازمه من نماء واخضرار وتجدد فهو لا يكون الا بوجود هذا العنصر وهو الماء فيقول في قصيدة (العودة الى جورنيكا)(٣٤) :

وطنا كم بكى عليه السكارى

حملتنا النياق فيه الى الشيب

وعدنا مغرورقين

باحفاد على النهر يولدون احتفلنا

وهمسنا لمن يقاسمنا الريح

إنّ الشاعر يربط النهر بالولادة والتجدد والخصب والنماء ويشير استعماله لدلالة النهر البعد الذي يرسمه الشاعر لمفهوم الماء بالنسبة للانسان ومن ثم يربط الشاعر بين الوطن الذي يبكي عليه وعلى حاله السكارى بسبب الواقع السيء الذي يعيشه الوطن ويقابله مع مفهوم النهر الذي يعبر عن الولادة والتجدد وكذلك ذكر أيضاً في قصيدة (اكليل الحكايات) (٣٥) :

وفي حزنك البري

حيث توقفوا

ملات لهم

من لؤلؤ القلب انهرا

وقلت لهم

هذي النهايات فاغرفوا

يعبر الشاعر هنا عن خاصية النهر في الاتساع والعطاء الذي يكمن داخله فهو يخبيء اللؤلؤ والكنوز فالنهر يحمل الخير والهبات إنّ الشاعر كثير الوقوف على أهمية الماء وخاصة ماء النهر الذي بفضله تعيش الارض وتخضر وتنمو .

يمثل النهر بالنسبة للشاعر الهاجس الذي يرنو اليه ويدور حوله يستلهم منه معاني الحياة والبقاء والنماء ان الماء يمثل للشاعر هو سر الحياة واصلها فبداية خلق البشر من الماء ونبي الله ادم (ع) خلقه الله من ماء وتراب فالمكون الاساسي للبشر واغلب المخلوقات هو الماء الذي يمثل سر بقائنا وديمومتنا وتناول أيضاً مفردة الماء في قصيدة (ترنيمة الافق النفيس)(٣٦) :

هي من عناقيد السنين

الذها

ومن الحكايات الحميمة

---

٣٤) ديوان يا ابي ايها الماء : ٧ .

٣٥) ديوان يا ابي ايها الماء : ١٧ .

٣٦) ديوان يا ابي ايها الماء : ٤٧ .

محضها

بك من لياليها ضفيرة أنهرِ

فاضت لمن عشقوا

واسهب فيضها

الشاعر في هذه القصيدة يشبه الليالي كأنّها ضفيرة بسبب التوائها وجمالها وهذه اليالي كانت تمثل عبق الماضي السعيد الذي يحن اليه الانسان ذلك الماضي الذي وجد فيه كل ما يعبر عن الاصالة والحب الذي لا يكاد الشاعر يعيشه الان حيث اصبحت الحياة معقدة اكثر وهذا التعقيد يلقي بظلاله على الانسان الذي اصبح بدوره صلدا كما الجمادات فلم تعد تلك الروح الاصيلة التي يلمس في كل جوانبها الحب والعفوية التي سادتها .

يعبر الشاعر عن ماء النهر الذي يجتاح الارض بانه يحتاج الغسل مع انه هو وسيلة الغسل فالماء لا يغسل وانما الاشياء الصلبة تغسل هذا المعنى الذي اراده الشاعر والتناقض الموجود فيه هو ما يستوقف المتلقي لان هذا النهر الذي يتكلم الشاعر عنه هو نهر فيه شوائب واشياء غيرت طبيعته وهيئته وجعلته ملوثا وغير نظيف يحتاج الى الغسل وللفرات نصيب من الذكر لدى اجود مجبل اذ يذكره في قصيدته (يا ابي ايها الماء) (٣٧) التي سماها باسم ديوانه لعظم منزلتها لديه ولدلالتها العميقة التي تعبر عنها :

لا نوافذ في الريح حتى يطل على حزنه

والفرات يودع عينيه مبتعدا

يا ابي ايها الماء

ان القنادس تبني سدودا على النهر

كي لا يمر المرابون نحو القرى

إنّ هذا التصوير الجميل للنهر والفرات والقنادس التي تبني السدود عليه لكي تمنع العتاة والمتسلطين والظالمين للعبور الى القرى التي يمر بها ويعيثوا في هذه القرى الجميلة فساداً إن هنالك دلالة سياسية واضحة في هذا المعنى على رفض الشاعر للسلطة السياسية التي تظل تحت مظلتها كل المرابين والفاسدين الذين يعيشون على دماء الفقراء والبسطاء ويجمعون اموالهم .

المبحث الثاني

المكان المعادي

يُعد المكان المعادي في بعض الاحيان عنصراً بارزاً في النصوص الادبية لما له من أثر في التجربة التي يخوضها الاديب وهذه الأمكنة " لا يشعر فيه الانسان بألفة نحوها ، بل يشعر نحوها بالعداء والكراهية " ٣٨من أبرز ما نراه لدى الشاعر المكان المعادي هو المكان الذي " لا يشعر فيه الانسان بألفة نحوه بلإنّ الشاعر عندما يتناول التعبير عن المكان المعادي يستحضر كل المشاعر المؤلمة التي مرت به في حقبة ما من حياته والتاثير السلبي الذي مارسه ذلك المكان الذي سبب له الالم ونحن اسلفنا في القول ان المكان يختلف في عدائيته من شخص لاخر فقد يكون البحر مكانا معادياً لشخص ما ويكون مكاناً أليفاً لآخر لكن الخطوط العامة للاماكن تقريبا تلتقي في مجموعة معينة مثل المدينة او البحر .

أ - المدينة

---

٣٧) ديوان **يا ابي ايها الماء : ١٨٩.**

٣٨) الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا : ٢٨٦ .

المدينة هي المكان الذي يشعر الانسان فيه بالمادية والجفاف والابتعاد عن المشاعر الروحية فنجد الشاعر يعدها في بعض الاحيان شيئاً معادياً للانسان بطبيعته التي جبل عليها وارتباطه بالطبيعة وارتياح النفس لها فنجد اولى قصائده في هذا الديوان وهي قصيدة (العودة الى جورنيكا) تمثل ميزة اسلوبية كونه قدمها على باقي القصائد وقد تمثلت هذه البلدة التي سحقت تماماً وقُتِلَ معظم سكانها مكاناً معادياً لانه مثل القهر والظلم الذي مارسته السلطة على الشعب وهو بهذا يعكس واقعاً مريراً عاشه بلد الشاعر فانتفاضة الشعب على نظام الحكم الظالم أدى الى قتل وتحطيم المدن كما فعل الحكام في اسبانيا بمدينة جورنيكا التي انتفضت ايضا على نظام الحكم ويذكر ايضا بلدته الصغيرة التي ولد بها وهي بلدة سوق الشيوخ في مدينة الناصرية فيقول في قصيدة (ترنيمة الافق النفيس) (٣٩) :

وخيمة تسقي العطاشى

حوضها

وبك استفاقت نخلة سوق الشيوخ

بكل مفترق هواك يخضها

هي من عناقيد السنين

ب - البحر

ان البحر عند معظم الشعراء المحدثين يمثل مكاناً معادياً لما يحتويه من مخاطر واهوال واتساع مخيف في بعض الاحيان لذلك فان الشاعر اجود مجبل نراها قد سار على هذا المنوال فربط هذا المكان بما يعتلج في نفسه من احزان وآلام يقول في قصيدة (العودة الى جورنيكا)(٤٠):

إذن

فلتشيد الان منفاك

على ضفتين من شغب

او فضة لا يطيق نسيانها البحر

سلاما يااخر القرطبيين

الى ان يقول :

اورثته قريش نخلة وجد

ومن الشام فيه زيتونة تغويه

يبني بشاطيء غامضِ

البحر لدى الشاعر يمثل الغموض والخوف لان الانسان بطبعه يخاف من الشيء المجهول والغامض ويربطه الشاعر بالوطن ويرمز اليه من خلال التعبير عن الالم الذي يعتصر في قلبه في المنفى فهو ينادي بلا جدوى وقد اورد الشاعر مفردة البحر في قصيدة اخرى بعنوان (تفاقمات بحار)(٤١) :

لدي بحر بكى غرقاه

---

٣٩) ديوان يا ابي ايها الماء : ٤٧ .

٤٠) ديوان يا ابي ايها الماء : ٧ .

٤١) ديوان يا ابي ايها الماء : ١٧٩ .

لي سفن

ميناؤها دمعة تحتج في طفل

احرض اللوتس البحري

اتركه لكي يجرب يوما

نكهة القتل

واسال البحر عن جدوى الوصول

وعن بحارة فتنتهم اذرع الهول

يتحول البحر لديه في هذا النص الى وحش عملاق يبتلع غرقاه والسفن وهو شرير يبث الرعب والخوف في قلوب الناس والبحارة الذين يركبونه ، وعبر عن هذا الازرق الواسع الذي طالما ارهب الناس وكان قبراً لهم وابتلع أعزاء واقرباء فهو بالرغم من ذلك لديه بعض الرحمة وكانما هو يبكي غرقاه بعد أن أجهز عليهم فبالرغم من انه قاسي وقوي الا أنه قد يخشع ويذكر قتلاه ويبكي عليهم .

ج - الـقـبـــر

يُعد القبر المنزل الاخير للانسان ومثواه الاخير الذي مهما علا وتسنم من وظائف في الدنيا فسوف ينزل اليه ويكون منزله الاخير ، إنّ هذا المصير طالما أرّقَ الناس وخاصة الشعراء فهم عبروا عنه بمشاعر صادقة وحقيقية وكانوا يخافون تلك النهاية التي لا مفر منها والشاعر اجود مجبل كما هو عند الناس جميعا فعبر عن ذلك المكان الموحش المؤلم باوصاف دقيقة يقول : (٤٢)

مضى العمر يا شيخ

فقل للخيول :

ان الفتى الضليل

في هيبة (يحاول ملكا)

من هنا مر مثل كنزٍ

ولما ودعته شمس لتبزغ اخرى

كان قبر هناك

يجهز بالعشب

على لكنة الاناضول

قلي ايها الشيخ

والحكايات اشلاء

الشاعر هنا يتحدث عن نهاية العمر وان الانسان لا بد له وان ينزل الى هذا المنزل في يوم من الايام، فالصغير يكبر والكبير يهرم ويشيخ وفي النهاية فان مصيره الى القبر، إنّ الناس وخاصة في نهايات العمر تكون نفوسهم زاهدة في البقية

٤٢) ديوان يا ابي ايها الماء : ٧.

الباقية من حياتهم فهم يفيضون بالحكايات القديمة الحكيمة التي يختزونها في ذاكرتهم ويقول ايضا في قصيدة اخرى (إكليل الحكايات)(٤٣) :

لهم قلق النهار

قبل سدودها

وحشد قبور

كل حربين تجرف

يذكر هنا تزاحم القبور وكثرتها لان الموت يحصد ملايين الناس وان كثرت القبور تعطي ايحاءً بالفناء ان الشاعر يشعر بثقل هذا الشيء على نفسه وروحه واحلامه واحلام قومه وقد جسدها الشاعر ببث ذلك الحزن العميق بين ثنايا تعابيره . وكذلك في قصيدة اخرى يذكر القبر لكنه عبر بـ(مدفن) واسمها (وطن للغيم)(٤٤) :

اطاح القاحلون به

ومدفن الحكايات

واصداء

لانني وطن

الشاعر يعبر عن رحيل الاشياء فيقول (مدفن) أي أنّه مكان أشبه بالمقبرة ولكن هذه المقبرة تضم حكاياته الحزينة التي اختلط فيها العيد والحزن والفرح فهنالك تشابك عجيب بين هذه المتضادات وهي قوله :(حزن عيد) فالعيد في الغالب يحمل معاني الفرح ولكنها عند بعض الناس يحمل أجواء الحزن لانه فيه ذكرى حزينة والعيد في بعض الاحيان يحمل حزنا في قلوب الفقراء لانهم لا يستطيعون الاستمتاع كما هو الحال مع الاغنياء وهذه إلتفاتة رائعة من قبل الشاعر إذ رصد هذا الشعور وجسده أجمل تجسيد .

الخاتمة ونتائج البحث

ان الشاعر اجود مجبل من الشعراء الذين كتبوا في الشعر العمودي والشعر الحر وامتازت الفاظه وتعابيره بالرموز والايحاءات الدقيقة التي تدل على انتمائه للارض .

إنَّ اللغة الفنية التي تميّزت بها نصوص الشاعر لم تكن لتحمل التشكل الجمالي لنصوصه فحسب، بل تجاوزت بذلك إلى تشكيل معالم وعي وثقافة القـ اص الموغلة في الذات وحفرياتها، إذ يتبيّن من خلالها مدى شغفه بالمكان الذي نشأ وترعرع فيه ليضعَ بصمته الأثيرة.

ان الشاعر اجود مجبل من الشعراء الذين اهتموا بخصيصة المكان في شعره ، إذ مثلت ثيمة تحمل دلالات ايحائية تحاول ان تنهض بالواقع المتردي لتحقيق التقدم الفكري والحضاري المنشود.

١- لم تقتصر احاسيس الشاعر على حالة الحزن الذي يتركه المكان المعادي وانما كان هناك جانب يشوبه الامل والفرحة بالمكان الاليف .

٢- مثلت دلالة الماء عنصرا بارزا في شعر اجود مجبل وخاصة مكان النهر حيث مثل لديه التجدد والثورة والنماء والخصب .

---

٤٣) ديوان يا ابي ايها الماء : ١٧.

٤٤) ديوان يا ابي ايها الماء : ٣٧.

المصادر والمراجع

١ – القران الكريم

٢ - آفاق في الادب والنقد، د.عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية، بغداد –العراق، ط١ ، ١٩٩٠.

٣ – إشكالية المكان في النص الادبي ، ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد– العراق ، ١٩٨٦ .

٤ – إنتاج المكان بين الرواية والبنية والدلالة ، د محمد الاسدي ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق ،ط ١ ، ٢٠١٣ م .

٥ – بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) د سيزا قاسم ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .

٦ – البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، د شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد –العراق ، ط١ ، ٢٠٠٠ م .

٧ – جماليات المكان ، اعتدال عثمان ، مجلة الاقلام ، العدد ٢ ، بغداد – العراق ، ١٩٨٦م.

٨ – جماليات المكان ،غاستون باشلار ، ترجمة :غالب هلسا ، دار الجاحظ للنشر ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد – العراق ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .

٩ – دلالة المكان في قصص الاطفال ، ياسين النصير ،دار ثقافة الاطفال ، بغداد – العراق،ط ١ ، ١٩٨٥ م .

١٠ – ديوان ابن زيدون ،دراسة وتهذيب ، عبد الله سندة ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .

١١ - ديوان أنشودة المطر ، بدر شاكر السياب ،مؤسسة هنداوي ، القاهرة – مصر ، ٢٠١٢.

١٢ – ديوان يا أبي أيها الماء ، أجود مجبل،مطبعة نورس، بغداد- العراق ،ط١، ٢٠١٢ .

١٣ – الرؤية والمكان دراسة في الرواية العراقية)، ياسين النّصيّر، سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م .

١٤ – الرومانتيكية، نشأتها ،فلسفتها ،قضاياها ، د محمد غنيمي هلال ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت –لبنان ، ط١ ، ١٩٧٢ م .

١٥ – الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م

١٦ – الفضاء الروائي في أدب جبرا ابراهيم جبرا ، الدكتور إبراهيم جنداري ، تموز للطباعة، دمشق – سوريا ، ط ١ ، ٢٠١٣ .

١٦ – في الشعرية ، كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١ ، ١٩٨٧ م .

١٨ – لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق: عبد الله علي الكبير و محمد احمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي – دار المعارف مصر – القاهرة ، ١٩٨١ م .

١٩ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الاثير ، قدمه وحققه وعلق عليه د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ،مطبعة دار النهضة ، القاهرة - مصر

٢٠- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ،مكتبة لبنان، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤ .

٢١– الوساطة بين المتنبي وخصومه – القاضي الجرجاني - عني بطبعه وتصحيحه احمد عارف الزين – مطبعة العرفان صيدا ١٣٣١ هـ .

٢٢ – ما قبل الفلسفة، فرانكفورت وجماعته، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، دار مكتبة الحياة، مؤسسة فرانكلين للنشر، ١٩٦٠ م .